ظاهرة التنبؤ في الشعر الحديث

علىّ الله ربيع محمد أحمد (*)

الملخص

الربط بين النبوءة والشعر فى الوعى العربى بارز وقوى، حيث "يشير المفسرون المعجميون إلى ما يشبه القرابه الدلالية بين الفعل "شعر" وبين المعرفة بالحدس.وكان الشاعر عند العرب هو الذى تنتقل إليه المعرفة عن طريق الإلهام "

ولعل من أبرز الدلائل على ذلك حرص القران الكريم على إسقاط صفة الشاعرية عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – حتى لا تختلط نبوءته الكريمة بتنبوءات الشعراء.

إن الشاعر مرهف الحس، يعيش واقع حياته بكل نبضاته ويحس تناقضاته المخيفة، وينفذ بفطنته القوية إلى ما خلف الظواهر المرئية، ويكشف المسار الصحيح للأحداث، بالاعتماد على المقدمات الواقعية، ومن ثم يعبر عما يراه بصدق وصراحة، دون خوف أو حساب لما يناله من ضُر أو شر وهذا سر من أسرار أصالة الشعراء. ومن أبرز شعراء العصر الحديث الذين اعتمدوا في أطروحاتهم الشعرية على التنبؤ أمل دنقل، وصلاح عبدالصبور، ومن بعدهما فاروق شوشة، وفاروق جويدة، والباحث يحاول تجلية تلك المقاربات في شعرهم.

* دكتوراه في الأدب الحديث من جامعة الأزهر

The Phenomenon of Prediction in Modern Poetry

Ali Allah Mohamed Ahmed

Abstract

connectivity between prophesy and poetry in Arabian awarenessis remarkable and strong,where thecommentators of lexicon refer to what is like alliance indicative between the verb 'feel' and knowledge by anticiptation "inspiration" and the poet at arabs the knowledge moves to him by inspiration, perhaps one of the most prominent signs to that care of the Holly Quran on dropping the character of poetry from the prophet muhammed (PBUH) even not mixing between his prophecy and the prediction of poets . the poet is sensitive lives his reality life with all his heart beat and feel the scary contradictions of the life . cross by his perspicacity to what behind visual phenomena and discover the right path for the event depending on the reality introductions . Thus expresses to what he sees honestly without feer or computation for what happened to him damage or evil and that's secret from the secrets of originality poets. The most prominent poet in the modern era that they depend on forecasting in their poetry Amal Donkol, Salah Abdul sabour and afterthem Farouk Shousha and Farouk jewiedah. The researcher trying to simplification these approaches in their poetry

بين النبوءة والشعر رباطة قوية وغائرة فى الوجدان العربى؛ ولذا "يشير المفسرون المعجميون إلى ما يشبه القرابه الدلالية بين الفعل "شعر" وبين المعرفة بالحدس.وكان الشاعر عند العرب هو الذى تنتقل إليه المعرفة عن طريق الإلهام " الشرقاوي، عفت ص: 126.

ومن ثمَّ حرص القران الكريم على إسقاط صفة الشاعرية عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – حتى لا تختلط نبوءته الكريمة بتنبوءات الشعراء والكهّان ،قال تعالى " وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقران مبين " سورة يس(169)، وقال تعالى: "ومَا هُوَ بقولِ شاعرٍ قليلاً ما تُؤمنون ولا بقولِ كاهنٍ قليلاً ما تذكّرون تنزيل من رب العالمين " الحاقة: (41).

على أنه لا يعنى بالضرورة صدق نبوءة الشاعر وتوقعه اعتبار الشاعر نبيًا جديدًا؛ فإن مثل هذا الاعتقاد غير وارد ولو للحظة واحدة، غاية ما فى الأمر أن الشاعر مرهف الحس، يعيش واقع حياته بكل نبضاته ويحس تناقضاته المخيفة، وينفذ بفطنته القوية إلى ما خلف الظواهر المرئية، ويكشف المسار الصحيح للأحداث، بالاعتماد على المقدمات الواقعية، وقراءة السنن الكونية التى لا تتبدل، ومن ثم يعبر عما يراه بصدق وصراحة، دون خوف أو حساب لما يناله من ضُر أو شر وهذا سر من أسرار أصالة الشعراء.

من أبرز الشعراء المجددين الذين صدقت توقعاتهم فى أشعارهم الشاعر (أمل دنقل) الذى يعتبر – فى نظرى – أول من أرسى هذا المضمون وتحرك من خلاله بادئًا برصد المقدمات ثم توقع النتائج، خاصة فى مجموعة القصائد التى كتبها قبل عام 1967م، والتى تكشف مدى اتساع حدقة الوعى الشعرى لدى (أمل دنقل) بحيث استطاع أن يرى عيوب الواقع وتنبّأ بنتائجه منذ عام 1962م، وذلك بداية من قصيدة "كلمات سبارتكوس الأخيرة" التى يقول فى مقدمتها :

المجد للشيطان معبود الرياح
من قال "لا" فى وجه من قالوا نعم.

دنقل، الأعمال الكاملة ص: 89، 90

حيث يرفع الشاعر خروجه المتفرد عن الطاعة فى هذا الوقت المبكر إلى درجة العصيان الذى يحاول تحطيم الدرجة القصوى من العصيان متمثلة فى إبليس عليه من الله اللعنات.

ومروراً بقصيدة "الأرض .. والجرح الذى لا ينفتح" مايو 1966 م التى يستخدم فيها الشاعر رمز "القيصر"ورمز "الحجاج" ويشير خلالها بشكل صريح ومباشر "إلى أن هذا الزعيم البطريركى الذي لا يملك من مفاتيح القوى سوى الوهم الزائف والقدرة على تخدير الشعب "مجاهد، ص:145.

أحببت فيك المجد والشعراء ..
لكن الذى سرواله من عنكبوت الوهم :
يمشى فى مدائنك المليئة بالذباب
يسقى القلوب عصارة الحذر المنمق

دنقل، ص: 156.

حتى صدقت نبوءات (أمل دنقل)، فوقعت النكسة، وعاد دنقل ليجتر نبوءاته على شكل لوم وتقريع وجهه إلى الشعب والسلطة كليهما، وذلك فى قصيدته (البكاء بين يدى زرقاء اليمامة).

وبالرجوع إلى قصيدته (الأرض .. والجرح الذى لا ينفتح) التى أرخها الشاعر عام 1966م أى قبل وقوع النكسة بعام واحد نجده يرصد بعض مظاهر الفساد التى ستؤدى حتماً إلى خلل رهيب، فانعدام الضمير، والنفاق والرياء الذى فاق أقصى الحدود، وذلك قوله :

وبعدها يتملكون يضاجعون أرامل الشهداء ،
ولا يتورعون ، يؤذنون الفجر .. لم يتطهروا من رجسهم
فالحق مات !

دنقل،ص: 156.

ومروراً باحتلال غير الأكفاء المناصب وجلوسهم على دفة التوجيه:

ما تزال مواعظ الخصيان باسم الجالسين على الحرابْ
وأراك .. و"ابن سلول" بين المؤمنين بوجهه القُزَحّى ..
يسرى بالوقيعة فيك

دنقل،ص: 157.

ومروراً ــ كذلك ــ بسكوت العقلاء، وعزل أولى الرأى السديد حيث يقول:

يسرى بالوقيعة فيك
يسرى والأنصار واجمة
وكلّ قريش واجمة فمن يهديه للرأى الصواب

دنقل،ص: 157.

وقبل النكسة بثلاثة أشهر يكتب (أمل دنقل) قصيدته: (حديث خاص مع أبى موسى الأشعرى)، ويكتب تحت العنوان عبارة [حاذيت خطو الله، لا أمامه، لا خلفه ...] إشارة إلى أن ما سيكتبه من نبوءات مستمد من سنن إلهية لا تتبدل ولا تتخلف. يرصد (أمل دنقل) عدة مظاهر للفساد تكون كمقدمة ترتكزعليها نبوءته التى تتنبأ بالفشل لكل تجربة يقوم بها هذا المجتمع بجميع هياكله .

فى اللوحة الأولى صورة صارخة لغياب القانون الذاتى [الضمير] والقانون المجتمعى [الدستور] الذى دفع أحد الأغنياء إلى قتل فقير دهسه بسيارته ثم سار ولم يهتم، وخوف الشاهد الوحيد الذى رأى الواقعة من الإدلاء بشهادته بالرغم من تدوينه رقم السيارة فى ورقة مزقها فور وصول الرجال :

إطار سيارته ملوث بالدم !
سار .. ولم يهتم !!
كنت أنا المشاهد الوحيد

لكننى .. فرشت فوق الجسد الملقى جريدتى اليومية
وحين أقبل الرجال من بعيد ..
مزقت هذا الرقم المكتوب فى وريقة مطوية
وسرت عنهم ما فتحت الفم

دنقل،ص: 239.

فى اللوحة الثانية : صورة الرشوة التى طالت كل شئ، حتى بسمات الناس لا تنال إلا بالرشوة :

حين دلفت داخل المقهى
جرّدنى النادلُ من ثيابى
جردته بنظرة ارتياب
بادلته الكُرْها !
لكننى منحته القرشَ: فزين الوجها
بسمة .. كلبية .. بلها

وفى اللوحة الثالثة : صورة البغى :

فى ليلة الوفاء
رأيتها – فيما يرى النائم – مُهْرة كسلى
يسرجُها الحوذى فى مركبة الكراء
يهوى عليها بالسياط ، وهى لا تشكو .. ولا تسير !
رأيتها فيما – يرى النائم – طفلةً .. حبلى !
رأيتها .. ظلا ! دنقل،ص: 233

لقد كانت النتيجة الحتمية لهذا الواقع المهترئ تلك الرؤيا التى تنبأ بها الشاعر فيما تبقى فى القصيدة مختاراً لها عنوان "رؤيا" يقول :

(ويكون .. فيه تحترق السنابل والضروع
تنمو حوافرنا – مع اللعنات – من ظمأ وجوع
يتزاحف الأطفال فى لعق الثرى
ينمو صديد الصمغ فى الأفواه
فى هدب العيون .. فلا ترى !
تتساقط الأقراط من آذان عذروات مصر
ويموت ثدى الأم .. تنهض فى الكرى
تطهو – على نيرانها – الطفل الرضيع !!)

دنقل،ص: 233، 234.

وحتى يتلبس الشاعر بجو التنبؤ ليؤكد للمتلقى أن ما يقرؤه هو استشراف للمستقبل وليست رموزاً خالية من المضامين يتقنع بقناع العرّافين فيقول :-

أرشف قهوتى الصباحية من بنها المحروق
وأقرأ الطالع ! دنقل،ص: 235، 236

ولكن الطالع أنبأه بغياب الحرية بدون وداع وبدون أمل فى الرجوع، والعام عام

جوع :

وستهبطين على الجموعْ
وترفرفين .. فلا تراك عيونهم .. خلف الدموع
تتوقفين على السيوف الواقفة
تتسمعين الهمهمات الواجفة
وسترحلين بلا رجوع !
ويكون جوع !
ويكون جوع ! دنقل،ص: 235، 236.

لقد قدم (أمل دنقل) – فيما سبق – نبوءة وجدانية من نبوءات الحدس بلغت حدًا عظيمًا من الشفافية الروحية، والعوامل التى بنى عليها أمل تصوراته عن كارثة 1967 مازالت تعمل فى غضون الواقع. لم تتوقف عن التهديد بالتخريب فى الواقع الكائن أو فى سوانح الأحلام.

إن ما قام به أول دنقل ليس ضرباً من الكهانة أوالتنجيم الذى يقوم به دجاجلة البشر، بل هو استقراء للواقع على حد قوله :

زمن الموت لا ينتهى يا ابنتى الثاكلة
وأنا لست أول من نبأ الناس عن زمن الزلزلة
وأنا لست أول من قال فى السوق:
إن الحمامة –فى العش –تحتضن القنبلة ! دنقل،ص: 352.

لقد صدقت تنبؤات [دنقل] وحلت نكسة (1967) فكتب الشاعر قصيدته [البكاء بين يدى زرقاء اليمامة] التى ترشد القارئ فى المستوى الواقعى للنص أنه كتب فى نكسة (1967) وقد خلط فيها أمل بين عدة شخصيات منها ما هو شاعر ومنها ما هو متنبئ ومنها من يجمع بين الشعر والنبوءة فتمازجت فيها الأصوات، وامتزج فيها الشعر بالنبوءة على هذا النحو :

– (أمل دنقل) شاعر ومتنبئ.
– الزبّاء شاعرة ومتنبئة.
– عنترة العبسى شاعر.
– زرقاء اليمامة متنبئة . دنقل،ص: 83– 88

وقد أقر الشاعر بالعرافة فى تلك القصيدة بشكل مباشر حيث قال :

" فمن ترى يصدقنى "

ومن خلال ندائه المتكرر للزرقاء :

– أيتها النبية المقدسة
– أيتها العرافة المقدسة.

واسترجع نبوءاته بشكل لافت فى نحو قوله:

– قلت لهم ما قلت عن قوافل الغبار
– قلت لهم ما قلت عن مسيرة الأشجار

فاستضحكوا من وهمك الثرثار

ولكن الجماهير أنكرت نبوءته، وطالبته بالصمت، وهذا ما دعاه إلى التقنع بقناع عنترة العبسى الذى أنكر بنو عبس فروسيته فإنكار الفروسية لدى عنتره، يساوى إنكار النبوءة لدى الشاعر.

إن إنكار نبوءة الزرقاء أدى إلى هزيمة قومها، وانكار فروسية عنترة أدى لهزيمة قومه ، وكلاهما أدى إلى نكسة 1967.

لقد كان عنوان القصيدة: "البكاء بين يدى زرقاء اليمامة" يشئ بأن القصيدة مناجاة خاصة بين عراف حديث (أنا الشاعر) وعرافة قديمة (زرقاء اليمامة)، ولكن الشاعر استطاع الارتقاء بالتجربة من الانغلاق التراثى إلى الواقع الآنى فاكتسبت رحابة وتمددت، مما ضمن لها استيعاب شخصيات أخرى تراثية [الزبّاء – عنترة] وشخصيات جديدة:[الشاعر والجندى المصرى الجريح، والسلطة الميتة] التى قايضت بالشعوب :

"وحين فوجئوا بحد السيف: قايضوا – بنا
والتمسوا النجاة والفرار!
ونحن جرحى الروح والفم .
لم يبق إلا الموت ..
والحطام .
والدمار .. " دنقل،ص: 87.

ويعلن الشاعر داخل القصيدة أن المفاسد/المقدمات التى أدت إلى هزيمة النكسة مازالت موجودة حتى بعد أن ضربت النكسة أطنابها يقول :

وما تزال أغنيات الحب .. والأضواء
والعربات الفارهة .. والأزياء !
وأنت يا زرقاء
وحيدة عمياء دنقل،ص: 87.

إن تلك القتامة التى سبقت النكسة ومهدت لها وامتدت أثناءها وبعدها هى التى دفعت الشاعر (صلاح عبد الصبور) إلى التنبؤ أيضًا بالحزن والانكسار بالرغم مما حققته الثورة – حال إنشائه القصيدة – من انجازات تمثلت فى تأميم القناة، ومحاربة الإقطاع وغيرها من نجاحات.

لكن الشاعر – بالرغم من ذلك – يعلن حزنه وتشاؤمه القانط فمازالت أسباب الانكسار كامنة فى حنايا الانتصار يقول :-

ياصاحبى إنى حزين
طلع الصباح فما ابتسمت ولم ينر وجهى الصباح
وخرجت من جوف المدينة أطلب الرزق المتاح . عبد الصبور، ص: 129.

مازالت مقدمات الانهيار بارزة واضحة ، فالتسول والحمق والانخداع:

وضحكت من أسطورة حمقاء رددها الصديق
ودموع شحاذ صفيق. عبد الصبور، ص: 229

والظلم والطغيان :
الحزن قد عقد الجباه
يقيم حكامًا طغاة عبد الصبور، ص: 231
والصمت على الظلم :-
حزن صموت
والصمت لا يعنى الرضاء بأن أمنية تموت
وبأن أيامًا تفوت
وبأن مرفقنا وهن
وبان ريحا من عفن
مس الحياة فأصبحت وجميع ما فيها مقيت عبد الصبور، ص: 230

لهذا ولغيره يعلن (عبد الصبور) فى نهاية حديثه مع صديقه أنه قد تنبأ بنهاية الطريق:

يا صاحبى ! زوق حديثك كل شئ قد خلا من كل ذوق
أما أنا فلقد عرفت نهاية الخدَر العميق
الحزن يفترش الطريق . عبد الصبور، ص: 232.

وفى الحق أن الشاعر(أمل دنقل)فتح الطريق لكل من جاء بعده لهذا الموضوع موضوع التنبؤ الذى ملأ به ديوانه [البكاء بين يدى زرقاء اليمامة] وبدأ مرحلة التنبؤ الشعرى بالكوارث التى تحل بالشعوب بسبب فقدان الحريات . سار على نهج دنقل الشاعر (فاروق شوشه) فى قصيدته التى تشترك مع قصيدة دنقل فى جزء من العنوان [حديث اليمامة] والتى يبث فيها – أيضا- عددًا من نبوءاته حول المستقبل متخذًا من ندائه لليمامة وسيلة لبث تلك التنبوءات:

عندما سميتُ عينيكِ "يمامة
لم تحدثنى النبوءات عن الوعد الذى يُجفل
والقلب الذى يسعى للهلاك
ثم ناديتك
هيه يا زرقاء
ماذا يضمر الليل لنا ؟ شوشة، ص: 273/2

ويصدر عن نفس الصنيع فى قصيدته:(نبوءة العراف الأعمى) متوسلًا بتقنية القناع فى التنبؤ بالجوع والتشرد واليأس الذى ينشب أظفاره فى عنق الأمل فيقول :-

أرى شررًا قادمًا
يتطاير أعمدة من شواظ
ويسقط فاكهة من جحيم
أرى جائعين
تهرول أعينهم خلف كسرة خبز
وتصطك أحشاؤهم –

فى انتظار الهباتِ
وتغشى العيون سحابة يأسٍ
ويُظلم وجه الزمان العقيم شوشة، ص: 444/2، 445.

ويختم (شوشه) قصيدته بنبوءة عن يوم قريب تقذف فيه الأرض عارًا وذلًا ، وفيه تدمى العيون، فويل لمن يبصرون ومن لا يُبصرون:

أرى عجبًا
ونبوءة يوم قريب
أرى الأفق يمطر مُهْلا
أرى الأرض تقذف عارًا وذلًا
أرى العين تقذف شوكا ورملًا
أرى هاتفين بروعة هذا المصير البليد
ومنطلقين لمائدة من لحوم العبيد
وممتثلين لإمرة هذا الإله الجديد
فويل لمن لايرون
وويل لمن يبصرون (شوشة، ص: 444/2).

ويصدرعن نفس الصنيع كذلك فى قصيدته(رؤيا) (شوشة، ص: 569/2). التى يتخذ فيها من رؤيا رآها وسيلة لبث تنبآته حول المستقبل. ولئن كان شوشة تقنع بقناع (العراف الأعمى) فإن (فاروق جويدة) يتخذ من (العراف) أيضًا محاورًا –لا قناعًا –؛ ليبث من خلال تلك الحوارية تنبوءاته الشعرية:

ذهبت اليوم للعراف أسأله
لماذا ترفع الأحزان قامتها بوادينا ؟!
دنا العراف فى همس
و قال : الخوف يا ولدى
أراه الآن يقتلنا ويهزمنا .. ويردينا
لأن الله يخلقنا ويطعمنا .. ويسقينا
ولا نرضى بأن نبقى له دوماً مطيعينا (جويدة، ص: 178/1)

وعلى نفس العنوان يلمح الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة (عرافة الأسى) التى يستهلها بقوله:–

لا تملئينى وحشة يا لحظة الفراق
ها أنت تسبحين فى دمى المراق
تأتين فى نهاية الإشراق
ليدخل النهار فى المحاق
وتعبر الساعات فى طريقها
ملوية الأعناق . (أبوسنة ص: 178).

لقد كانت تجربة التنبؤ ظاهرة جديدة جديرة بالتسجيل حسبت للشاعر الجديد ، رغم تفاوت الشعراء فى التماس الأسلوب الذى تصاغ من خلاله الظاهرة،

وتفاوتهم كذلك فى النجاح أو الإخفاق.

المصادر والمراجع:

1 -القرآن الكريم.
2 -أبوسنة. محمد ابراهيم. حديقة الشتاء والصراخ في الآبار القديمة. ط الأولى. القاهرة، ط الدار المصرية اللبنانية، بدون تاريخ.
3 -جويدة، فاروق، ط الأولىن القاهرة، ط مكتبة الشروق، 2004.
4 -دنقل، أمل، الأعمال الكاملة، د.ت، د. ت، القاهرة، مكتبة مدبولي.
5 -الشرقاوي. عفت. قضايا الأدب الجاهلي. ط الأولى. بيروت. ط دار النهضة العربية. 1979.
6 -شوشة، فاروق، ط الأولى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
7 -عبدالصبور، صلاح،الأعمال الكاملة،ط الأولى، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
8 -مجاهد، أحمد.أشكال التناص، ط الأولى، القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب 2006.
9 -التنبؤ في شعر عبدالله البردوني، مجلة مدونات عربية عدد أغسطس 2013
10 - اقتران الشعر بالتنبؤ بحث بمجلة كلية اللغة العربية جامعة أم القري 2010/10/20 للباحث محمد بن خلف الرويسي.
11 - أمير شعراء الرفض، نسيم مجلي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بدون تاريخ أو بيان الطبعة.